

تفسير البحر المحيط

@ 299 @ نحو : رفوت ، والجيد : رفأت ، ولم أسمع : رفيت . انتهى كلام الأخفش . ودل ذلك على أنه ليس من ضرائر الشعر ، كما ذكر أبو الفتح ، وهو قوله تعالى : { أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَاءِ الَّذِينَ هُمْ بِأَسْمَائِهِمْ } . وقوله : { فَلَا تَجْعَلْ فِيهَا } . فإن الطوعية المحضة ويكونوا مع عدم العلم بالحكمة فيما أمروا به ، وعدم الاطلاع على ذلك الأمر ومصلحته ومفسدته بهم مع العلم والاطلاع . وكان الامتثال والتسليم ، بغير تعجب ولا استفهام ، أليق بمقامهم لطهارة ذواتهم وكمال صفاتهم . .

وفي كتاب بعض من عاصرناه ، قالت المعتزلة : ظهر من آدم عليه السلام في علمه بالأسماء معجزة دالة على نبوته في ذلك الوقت ، والأقرب أنه كان مبعوثاً إلى حواء ، ولا يبعد أن يكون أيضاً مبعوثاً إلى من توجه التحدي إليهم من الملائكة ، لأن جميعهم ، وإن كانوا رسلاً ، فقد يجوز الإرسال إلى الرسول ، كبعثه إبراهيم عليه السلام إلى لوط عليه السلام ، واحتجوا بكونه ناقصاً للعادة . ولقائل أن يقول : حصول العلم باللغة لمن علمه □ وعدم حصوله لمن لم يعلم ليس بناقص للعادة . وأيضاً ، فالملائكة أما إن علموا وضع تلك الأسماء للمسميات فلا مزية أو لا ، فكيف علموا إصابته في ذلك ؟ والجواب من وجهين : أحدهما : أنه ربما يكون لكل صنف منهم لغة ، ثم حضر جميعهم فعرف كل صنف إصابته في تلك اللغة ، إلا أنهم بأسرهم عجزوا عن معرفتها بأسرها . الثاني : أن □ عرفهم الدليل على صدقه ، ولم لا يكون من باب الكرامات أو من باب الإرهاص ؟ واحتج من قال : لم يكن نبياً ، بوجوه : أحدها : صدور المعصية عنه بعد ، وذلك غير جائز على النبي . وثانيها : أنه لو كان مبعوثاً لكان إلى أحد ، لأن المقصود منه التبليغ ، وذلك لا يكون للملائكة ، لأنهم أفضل ، ولا حواء ، لأنها مخاطبة بلا واسطة بقوله : { وَلَا تَقْرَبَا } ، ولا الجن ، لأنهم لم يكونوا في السماء . وثالثها : قوله : { ثُمَّ اجْتَدِيَاهُ } ، وهذا يدل على أن الاجتباء كان بعد الزلة ، والنبي لا بد أن يكون مجتنبى وقت كونه نبياً . .

{ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ } ؛ جواب فلما ، وقد تقدّم ذكر الخلاف في لما المقتضية للجواب ، أي حرف أم ظرف ؟ ورجحنا الأول وذكرنا أنه مذهب سيويه . وألم : أقل تقرير ، لأن الهمزة إذا دخلت على النفي كان الكلام في كثير من المواضع تقريراً نحو قوله تعالى : { أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ } ؟ { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } ؟ { أَلَمْ نُزِرْ بِكَ فَيَذَآ وَآلِيداً } ؟ ولذلك جاز العطف على جملة إثباتية نحو : ووضعنا ، ولبئنا ، ولكم فيه ، تنبيههم بالخطاب وهزهم لسماع المقول ، نحو قوله : { أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِذْ زُرَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا } نبهه في الثانية بالخطاب . وقد تقدم أن اللام في نحو : قلت لك ، أو لزيد ، للتبليغ ، وهو أحد المعاني التي ذكرناها فيها . { إِذْ زُرَّكَ } : ياء المتكلم المتحرك ما قبلها ، إذا لقيت همزة القطع المفتوحة ، جاز فيها وجهان : التحريك والإسكان ، وقرء بالوجهين في السبعة ، على اختلاف بينهم في بعض ذلك ، وتفصيل ذلك مذكور في كتب القراءات . وسكنوا في السبعة إجماعاً تفتني إلا ، { أَرِنِي أَنظُرْ } ، { فَآتَنِي بِعَيْنِي أَهْدِكَ } { وَتَرَرْتُ مَدِينِي أَكُنْ } ، ولا يظهر بشيء من اختلافهم واتفاقهم علة إلا اتباع الرواية . والخلاف الذي تقدم في أعلم من كونه منصوباً أو مجروراً جاز هنا ، وقد تقدم إيضاحه هناك فلا نعيده هنا . .

وقد حكى ابن عطية عن المهدي ما نصه : قال المهدي : ويجوز أن يكون قوله : أعلم

اسماً بمعنى التفصيل